الفصل السابع
النمو والنجاح

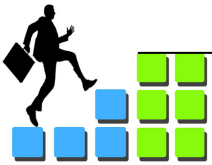

أساس البحث عن الروح .. كشف سر "روح الشرق الجديد":

فعالية "روح الشرق الجديد"، شكل الوسيلة أم شكل القيمة؟:

إذا نحينا كل المصالح التجارية وأضواء الشهرة التي تتسلط على "روح الشرق الجديد" جانبًا، سنجد أنها مؤسسة تتخذ من التجارب الشخصية لكل الشخصيات الشرقية الفذة، وكل الأقوال والقصص التحفيزية والفلسفة الحياتية لهم، أساسًا ومثالًا. فهي توضح كيف توّج النجاح طريق "نضال الطبقة الكادحة"، وقد اعتمدت على إلقاء الخطابات الحماسية في الفصول الدراسية مظهرًا من مظاهرها. إن شعار مدرسة الشرق الجديد هو "السعي نحو التميز، ومواجهة التحديات، والبحث عن شعاع الأمل وسط ظلام اليأس، وأن تصل في النهاية إلى تحقيق حياة مشرقة"، وهذا هو جوهر "روح الشرق الجديد".

ازدادت شهرة "روح الشرق الجديد"، وتردد صداها، وقد اعتبرها يو مين هونغ القوة التنافسية الجوهرية للشرق الجديد.

ولكن لم تفتقر روح الشرق الجديد للون "البراغماتية"، والتي تختلف اختلافًا كبيرًا عن "المثالية" التي دعا إليها يو مين هونغ.

لقد أثبتت إستراتيجية البراغماتية هذه فعاليتها بالنسبة للطلبة الشباب الطامحين في النجاح، ولكنها بالنسبة للنخبة الموهوبة العائدة من خارج الصين ليست بتلك السهولة. فعند رؤية هؤلاء النخبة المعتدين بأنفسهم لروح الشرق الجديد، لم يترددوا لحظة في التشكيك في وجودها.

تتميز "روح الشرق الجديد" بالجمع بين البراغماتية والمثالية؛ إذ تعتبر "روح الشرق الجديد" رمزًا من رموز الشرق الجديد، فهي بالفعل لعبت دورًا مهمًّا بين الطلبة، ولكنها استُخدمت بكثرة في تنفيذ العمليات التجارية، حتى ولو استخدم يو مين هونغ شعار "التعليم لخدمة الوطن"، فهذا لم يجنبه ملاحقة سخرية الناس له.

أرشدت "روح الشرق الجديد" مجموعة من الناس على اتجاه الحياة، ولكن هؤلاء الناس يعتبرون النجاح المادي هو أسمى أهداف الحياة. يمكن القول إن روح الشرق الجديد لعبت دورًا مهمًّا في التحفيز لمدة

قصيرة، ولكنها لم تتمتع بمغزى عبر العصور، ولم تتحلَّ بشجاعة تغيير ملامح العصر.

كانت وسائل الدعاية لروح الشرق الجديد كلها قائمة على التسويق التجاري، فسواء أكان التدريس وإلقاء المحاضرات أو نشر الكتب، فكلها هدفها الأساسي هو التجارة، وكلها تسعى إلى الربح. وما لا يمكن تبريره هو أن روح الشرق الجديد يغلب عليها اللون التجاري، وتميل إلى المنفعة التجارية لا إراديًّا.

يكمن جوهر روح الشرق الجديد في شعار أحي القلوب، فسبب نجاح روح الشرق الجديد هو أن هذا المجتمع يفتقر إلى المثالية؛ وذلك لأن هذا المجتمع دائمًا ما يسعى إلى المصلحة المادية وتقديس النجاح. وليس بالضرورة أن تكون روح الشرق الجديد صحيحة، ولكنها بدت مناسبة.

هل ستتحول روح الشرق الجديد إلى نوع من الفكر النظري العميق، أم ستعترف بأنها تسعى إلى المنفعة فقط؟:

فلابد من أن تتحول "روح الشرق الجديد" إلى نظرية من الأنظمة والدلائل، وإلى نظام غني المحتوى، وسيحتاج ذلك إلى مزيد من جهود أهل الشرق الجديد.

لقد شعر نوابغ الشرق الجديد بالبهجة والسعادة عند تفسيرهم لـ "روح الشرق الجديد"، وبأن مواهبهم قد تجلت، وعليهم كمثقفين ألا يسعوا إلى المنفعة التجارية. ومن هنا وجد النوابغ من هؤلاء المثقفين حجة لأنفسهم.

ولكن تأسيس نظام النظرية الروحية، سيتمتع بقوة مذهلة أكبر من تلك التي تتمتع بها الشعارات المنتشرة.

جعل الطلبة يكبرون داخل الشرق الجديد:

إذا قرأنا القصص الملهمة للشرق الجديد قراءة دقيقة، سنلاحظ أن لكل قصة مغزى. علق تشانغ يا تشه بعد الاستماع إلى خطاب يو مين هونغ قائلًا:

"نطقه في اللغة الإنجليزية ليس قياسيًّا، وكذلك في اللغة الفصحى، لكن كلامه الذي يحتوي دائمًا على الكثير من النكات الظريفة، والكثير من الأشياء العادية التي تؤثر في الطلبة العاديين – كل ذلك يجعله يتمكن من تقريب المسافات بينه وبين الطلبة، ويجعلهم يفكرون في أن مثل هذا الرجل استطاع أن ينجح، فلماذا لا نستطيع النجاح".

لقد أصبحت "روح الشرق الجديد" إحدى مميزات وعلامات الشرق الجديد. وبدون روح الشرق الجديد لن يكون هناك فرق كبير بين الشرق

الجديد ومؤسسات التدريب الأخرى. فسوف يتقلص الفرق إلى أن ينعدم تمامًا؛ وإلا فلماذا حققت "روح الشرق الجديد" مثل هذا النجاح المشرق؟!

ربما تكون الكثير من المعاهد العليا أو مؤسسات التدريب المشهورة ممتازة في تلقين المعرفة، ولكنها تعتبر الطلبة آلة امتحان، حيث يتم تدريبهم باستمرار، وعلى الرغم من أن هذا النوع من التدريب يمكن أن يحسن النتائج من الناحية النظرية، إلا أن الكثير من الطلبة لا يستطيعون تحمل هذا التدريب القاسي.

هذا هو ما تراه الشرق الجديد؛ إذ يقوم المعلمون بتغذية أرواح الطلبة في الوقت نفسه الذي يقومون فيه بنقل المعرفة إلى عقولهم . مهما كان ما تتضمنه القصص التحفيزية الملهمة للشرق الجديد، إلا أنه لابد من الاعتراف بأن الاستماع إلى قصة خلال الدراسة الطويلة الشاقة، حتى لو لم يشعل ذلك حماسنا، ويدفعنا إلى أن نجري في المعلب عشرين دورة، فهو – على الأقل – يمكنه إزالة التوتر العصبي لديك، والاستمتاع بالقليل من الراحة؛ ومن ثم تعود مرة أخرى بكل حماسة وأكثر مثابرة لتتعمق في الدراسة.

قد يبدو أن القصص الملهمة للشرق الجديد سهلة وبسيطة، ولكنها – في الواقع – تحتوي على كثير من الحقائق المخفية. حيث تستخدم مبادئ علم النفس وظواهره بشكل متكامل في العملية التعليمية، والتي يكون لها تأثير السحر.

أولًا: الشرق الجديد يحدد الاتجاه للطلبة: إجادة الإنجليزية؛ ومن ثم السفر خارج الصين لاستكمال الدراسة، والذي سيجعل الحياة أكثر إشراقًا. وسواء أكانت هذه الطريقة صحيحة أم لا، فهي – في كل الأحوال – تحدد في البداية هدفًا جيدًا للطلبة. حتى وإن لم يتمكن الطالب من السفر للدراسة خارج الصين، فتعلم الإنجليزية – بحد ذاته – ليس بالأمر السيئ؛ لذلك فإن طريق الشرق الجديد هذا حتى وإن لم يكن منطقيًّا، فهو ليس مضرًّا.

ما تسعى الشرق الجديد إليه، هو تحديد هدف قصير المدة للطلاب، ومساعدتهم في تحقيقه عبر جهودهم فقط.

إن تحديد الشرق الجديد أهدافًا قصيرة المدة للطلاب، يدل – أيضًا – على بُعْد نظرها؛ فكل شخص له هدف مختلف، وإذا قامت الشرق الجديد بتحديد هدف واحد لكل فرد، فسيفقد الطلبة القدرة على اتخاذ القرار والوعي الذاتي، ويصبحون مجرد تابعين، آلات مُسَيّرة لا تسير وفق

إرادتها، وإنما تتجه ميكانيكيًّا نحو نقطة النهاية نفسها، ولن يكون لهم شخصية على الإطلاق.

ثانيًا: "معجزة" الدعاية للشرق الجديد: على الرغم من أن معظم دعاية الشرق الجديد مأخوذة من قصص لتجارب شخصية حقيقية، إلا أن هذه القصص تحمل - بين طياتها - لونًا من ألوان الإعجاز، ولكنه إعجاز يحدث لأشخاص عاديين على مرأى ومسمع الآخرين.

وعلى نحو من ذلك، فقد اندمج الإعجاز بالعادي، وتقاربت المسافة بينهم ليصبحوا في النهاية كيانًا واحدًا، ألا وهو "روح الشرق الجديد". تخبرك هذه الروح بأنك إذا حددت هدفًا، وسعيت لتحقيقه بكل جهودك، فسوف تتمكن من تحقيقه.

"الإثارة" و"التشجيع" هما من أهم الكلمات المفتاحية في الدعاية الخاصة بـ "معجزة" الشرق الجديد. فلغة القصص الملهمة للشرق الجديد، لغة يملؤها التشجيع والتحفيز، وكذلك تحتوي أيضًا على الكثير من العوامل. من وطنية ونهوض الأمة وحتى عوامل السعادة الشخصية، حتى تجعل هذه الدعاية العاطفية تمس قلوب الطلبة بطريقة أسهل، وتثير طموحهم وحماستهم؛ من أجل بذل قصارى جهدهم لتحقيق أهدافهم في وقت قصير.

وأخيرًا: تهتم الشرق الجديد جيدًا بانتقاء أماكن التدريس، فكثيرًا ما تختار القاعات الواسعة التي تتسع لآلاف الحاضرين؛ وذلك للتحكم بالتكاليف من ناحية، ومن الناحية الأخرى والأهم هو أن الحضور الكبير يتأثر بشكل أسهل بالإيحاء النفسي. في هذه البيئة، وفي ظل هذه الظروف، من السهل أن يتأثر الطلبة ببعضهم بعضًا؛ ليخلقوا جوًّا من أجواء "المعجزة"، وهذه الإمكانات ستلهمهم قوة الروح الهائلة التي تجعلهم أكثر فعالية وكفاءة، راكضين بدوافع قوية، في طريقهم الطويل للاستعداد للامتحانات، حاملين البسمة على وجوههم، والثقة في نفوسهم، والأمل في قلوبهم.

***